لما ناط اختيارهم سبيل مرضاة الله بمشيئتهم أعقبه بالتنبيه إلى الإقبال على طلب مرضاة الله للتوسل برضاه إلى تيسير سلوك سبل الخير لهم لأنهم إذا كانوا منه بمحل الرضى والعناية لطف بهم ويسر لهم ما يعسر على النفوس من المصابرة على ترك الشهوات المهلكة قال تعالى (فسنيسره لليسرى) فإذا لم يسعوا إلى مرضاة ربهم وكلهم إلى أحوالهم التي تعودوها فاقتحمت بهم مهامه العماية إذ هم محفوفون بأسباب الضلال بما استقرت عليه جبلاتهم من إيثار الشهوات والاندفاع مع عصائب الضلالات وهو الذي أفاده قوله تعالى (فسنيسره للعسرى) أي نتركه وشأنه فتتيسر عليه العسرى أي تلحق به بلا تكلف ومجاهدة .

فجملة (وما تشاءون إلا أن يشاء الله) يجوز أن تكون عطفا على جملة (فمن شاء اتخذ إلى ربه سبيلا) أو حالا من (من يشاء) وهي على كلا والوجهين تتميم واحتراس .

وحذف مفعول (تشاءون) لإفادة العموم والتقدير : وما تشاءون شيئا أو مشيئا وعموم الأشخاص يستلزم عموم الأحوال والأزمنة أي ما تشاءون شيئا في وقت من الأوقات أو في حال من الأحوال .

وقد علل ارتباط حصول مشيئتهم بمشيئة الله بأن الله عليم حكيم أي عليم بوسائل إيجاد مشيئتهم الخير حكيم بدقائق ذلك مما لا تبلغ إلى معرفة دقائقه بالكنه عقول الناس لأن هنالك تصرفات علوية لا يبلغ الناس مبلغ الاطلاع على تفصيلها ولكن حسبهم الاهتداء بآثارها وتزكية أنفسهم للصد عن الإعراض عن التدبر فيها .

و (ما) نافية والاستثناء من عموم الأشياء المشيئة وأحوالها وأزمانها ولما كان ما بعد أداة الاستثناء حرف مصدر تعين أن المستثنى يقدر مصدرا أي إلا شيء الله " بمعنى مشيئته " وهو صالح لاعتبار المعنى المصدري ولاعتبار الحالة ولاعتبار الزمان لأن المصدر صالح لإرادة الثلاثة باختلاف التأويل فإن قدر مضاف كان المعنى : إلا حال مشيئة الله أو إلا زمن مشيئته وإن لم يقدر مضاف كان المعنى : لا مشيئة لكم في الحقيقة إلا تبعا لمشيئة الله .

وإيثار اجتلاب (أن) المصدرية من إعجاز القرآن .

ويجوز أن يكون فعلا (تشاءون) و (يشاء الله) منزلين منزلة اللازم فلا يقدر لهما مفعولان على طريقة قول البحتري : .

" أن يرى مبصر ويسمع واع ويكون الاستثناء من أحوال أي وما تحصل مشيئتكم من حال من الأحوال إلا في حال حصول مشيئة الله . وفي هذا كله إشارة إلى دقة كنه مشيئة العبد تجاه مشيئة الله وهو المعنى الذي جمع الأشعري التعبير عنه بالكسب فقيل فيه " أدق من كسب الأشعري

" . ففي الآية تنبيه الناس إلى هذا المعنى الخفي ليرقبوه في أنفسهم فيجدوا آثاره الدالة عليه قائمة متوافرة ولهذا أطنب وصف هذه المشيئة بالتذييل بقوله (إن ا كان عليما حكيما) فهو تذييل أو تعليل لجملة (يدخل من يشاء في رحمته) أي لأنه واجب له العلم والحكمة فهو أعلم فمن شاء أن يدخله في رحمته ومن شاء أبعده عنها .

وهذا إطناب لم يقع مثله في قوله تعالى في سورة عبس (كلا إن هذه تذكرة فمن شاء ذكره) لأن حصول التذكر من التذكرة أقرب وأمكن من العمل بها المعبر عنه بالسبيل الموصلة إلى ا تعالى فلذلك صرفت العناية والاهتمام إلى ما يلوح بوسيلة اتخاذ تلك السبيل .

وفعل (كان) يدل على أن وصفه تعالى بالعلم والحكمة وصف ذاتي لأنهما واجبان له .

وقد حصل من صدر هذه الآية ونهايتها ثبوت مشيئتين : إحداهما مشيئة العباد والأخرى مشيئة ا وقد جمعتهما هذه الآية فكانت أصلا للجمع بين متعارض الآيات القرآنية المقتضي بعضها بانفراد نوط التكاليف بمشيئة العباد وثوابهم وعقابهم على الأفعال التي شاءوها لأنفسهم والمقتضي بعضها الآخر مشيئة ا في أفعال عباده .

فأما مشيئة العباد فهي إذا حصلت تحصل مباشرة بانفعال النفوس لفاعلية الترغيب والترهيب وأما مشيئة ا انفعال النفوس فالمراد بها آثار المشيئة الإلهية التي إن حصلت فحصلت مشيئة العبد علمنا أن ا شاء لعبده ذلك وتلك الآثار هي مجموع أمور تتظاهر وتتجمع فتحصل منها مشيئة العبد .

A E